إنجيل توما الغنوصيّ (١)

الخوري جان عزّام
دكتور في العلوم البيبليّة

مقدّمة

إنجيل توما هو مجموعة من ١١٤ قولاً ليسوع جمعها، بحسب مقدّمة الإنجيل، الرسول توما المعروف بالتوأم. ترد هذه الأقوال بمعزل عن أحداث حياة يسوع، بالرغم من أنّ بعضها يتضمّن حوارات وتلميحات عن أحداث من حياته. لا يجمع بين هذه الأقوال أي ترتيب معين، وهي وجدت من ضمن مجموعة من المخطوطات الغنوصيّة المعروفة بمكتبة نجع حمادي. هذه المكتبة تتضمّن مجموعة من وثائق مكتوبة باللغة القبطيّة، وقد اكتشفت في صعيد مصر سنة ١٩٤٥ وتعود إلى القرن الرابع الميلاديّ.

إنجيل توما الذي وجد في اللغة القبطيّة هو على الأرجح مترجم من اللغة اليونانيّة. وبالفعل فإنّ بعض المقاطع من المخطوطة اليونانيّة الأصليّة موجودة في بابيروس أوكسيريكوس ١: العدد ٦٥٤ و٦٥٥، وقد اكتشفت ونشرت في بداية القرن العشرين. وهي تتضمّن تباعًا الأقوال ٢٦–٣٠ و٧٧ و٣١–٣٣، ثمّ الأقوال ١–٧ و٣٦–٤٠. ويرجّح أنّ بعض هذه المقاطع يعود إلى مخطوط مكتوب قبل سنة ٢٠٠ للمسيحيّة.

ويلاحظ بسهولة أنّ أقوال عديدة من إنجيل توما تتوازى مع أناجيل العهد الجديد خاصّة في الأناجيل الإزائيّة وأيضًا في إنجيل يوحنّا. وتتوافق معاني بعضها، وإن مختلفة في الشكل، مع مضمون مقاطع إنجيليّة؛ وقد أضيفت على أكثرية هذه الأقوال بعض الكلمات، مما جعلها مختلفة كلّيًّا في معناها عن قريباتها في العهد الجديد. وهناك أكثر من ثلثها لا علاقة له، لا بالشكل ولا بالمحتوى، بالنصوص القانونيّة. وتشكّل هذه المقاطع الأخيرة أهمّيّة كبيرة لأنها تعطينا المفاتيح لفهمٍ مختلفٍ لأقوال هذا الإنجيل، حتّى لتلك القريبة بالشكلٍ من العهد الجديد. وفي الواقع فإنّها جميعها مستوحاة من العقيدة الغنوصيّة. وهذه الملاحظة تجعلنا نتسائل إن كنّا أمام آيات قد نقلت من آيات مختارة من العهد الجديد وعُدِّلت بالمفهوم الغنوصيّ، أو إن كنّا أمام تفسير غنوصيّ لما يعرف بالمعين المشترك (Q) دون أي علاقة مع الأناجيل القانونيّة.

جوابًا على ذلك يعتقد بعض الباحثين أنّ أقوال إنجيل توما، لا تستند على العهد الجديد بل إنّها قد أخذت من نفس المصدر الذي كتبت على أساسه الأناجيل القانونيّة. ويذهب بعض أولئك في التطرّف إلى حدّ اعتبار إنجيل توما أقدم الأناجيل، وتسميته بـ"الإنجيل الخامس" كما يفعل بعض المتحمّسين للغنوصيّة الجديدة من مدرسة Jesus seminar وأتباعهم. ولكنّ الحقيقة هي عكس ذلك؛ فأنّ أوّل إشارة إلى هذا الإنجيل موجودة في كتابات القدّيس هيّبوليطس الذي كتب بين سنة ٢٢٢ و٢٣٥، مما يؤكّد أنّ كتابة هذا الإنجيل لاحقة لتكوين الأناجيل القانونيّة بكاملها، وهذا ما يوافق عليه كلّ الباحثين الجدّيين الذين يتفقون على

(١) كلّ المراجع عن كتب استخدمناها في البحث والشرح مأخوذة من الأنترنت ولذلك لم ترد فيها أسماء المدن أو المجلاّت؛ راجع خاصّة: http://www.gospelthomas.com/

أنّ كتابة إنجيل توما قد تمّت حوالى منتصف القرن الثاني للميلاد، لا بل يؤكّد بعضهم أنّه قد كُتب بعد سنة ١٨٠ ميلاديًّا، وذلك استنادًا إلى دراسات لغويّة قبطيّة وأراميّة. باختصار، يمكن التأكيد بأنّه قد كتب بين سنة ١٥٠ و ١٨٠ ميلاديًّا(٢).

١ - ارتباط إنجيل توما بالأناجيل القانونيّة

من المؤكّد أنّ إنجيل توما يرتبط بالأناجيل الإزائيّة، مع أنّه يحرّف معناها باتجاه العقيدة الغنوصيّة. وبرهانًا على تبعيّة هذا الإنجيل للأناجيل القانونيّة نورد بعض الأمثال:

- في مرقس ١٢: ١-١١ نجد مثل الكرّامين القتلة في آ ١-٨ متبوعًا بنصّ من المزمور ١١٨ في آ ١٠-١١، ويربط بينهما قول ليسوع في آ ٩: "فماذا يفعل ربّ الكرم؟ سيأتي ويهلك الكرّامين، ثم يسلم الكرم إلى آخرين". هذا المثل نفسه نجده في إنجيل توما، في القول ٦٩ و ٧٠، ولكن دون أي رابط بينه وبين آية المزمور ١١٨ كما في إنجيل مرقس، ممّا يؤكّد بأنّ إنجيل توما يتبع ترتيب إنجيل مرقس، وإن دعته الحاجة إلى إهمال الآية ٩ من مرقس.

- مثل آخر نجده في القول ١٥ حيث يجمَع إنجيل توما كعادته أقوالاً ليسوع آخذًا إيّاها من آيات مختلفة في الأناجيل الإزائيّة. وفي هذا القول نجد مجموعة أقوال ليسوع عن الطعام، ولكنّنا نتعجّب من ورود كلام بينها عن شفاء المرضى. ولكنّ الأمر يتّضح عندما نقرأ لو ١٠: ٨-٩ الذي يضع شفاء المرضى ضمن رسالة التلاميذ التبشيريّة، والتي يرد ذكر الطعام فيها عرضًا للتأكيد على مجّانيّة هذه الرسالة؛ الأمر واضح إذًا: لقد أخذ إنجيل توما هذا القول من لوقا ووضعه مع مجموعة أقوال أخرى عن الطعام دون أن يستطيع فصله عن موضوع شفاء المرضى كما يُمكن أن نتوقّع(٣).

- من جهة أخرى نلاحظ أنّ إنجيل توما الغنوصيّ العقيدة لا يترك أيّ مكان للكلام عن رؤية خلاصيّة متجذّرة في التاريخ، وذلك بابتعاده كلّيًّا عن ذكر أيّ ترابط بين العهد القديم والعهد الجديد، أو حتّى عن رسالة يسوع التاريخيّة وموته وقيامته واستمراريّته في الكنيسة وفي العالم من خلال إعلان الإنجيل لكلّ البشر، وانتظار عودة المسيح الممجّدة عند المجيء الثاني؛ فهذا الإنجيل هو خارج التاريخ والزمن والمادّة، ولذلك نجده يزيل من الأناجيل القانونيّة كلّ ما يمتّ إلى هذه الوقائع بصلة. مثلاً على ذلك: نلاحظ في الأقوال ٦٧ و٦٨ و٦٩ إنّه يجمع أقوالاً ليسوع عن الغنى معزولة كلّيًّا، بعكس الأناجيل القانونيّة، تاريخ الخلاص ورسالة يسوع ودعوته إلى أولويّة العناية الإلهيّة والتوبة عن تأليه المال، وكأنّني به يستعملها فقط لتأكيد العقيدة الغنوصيّة الرافضة للغنى، والتي تزدري المادّة بالمطلق. وهذا واضح في مثل الغنيّ (القول ٦٧) الذي يبدو أنّه يموت فقط لأنّه جمع الكثير من المال، ولا يُذكر شيء عن هدف هذا المثل الأصليّ الذي يقدّمه الإنجيليّون للدعوة إلى ضرورة الاتكال على العناية الإلهيّة، خاصّة من خلال الحوار بين الله والغني، كما هو في لوقا، وهو ما يهمله إنجيل توما. فهنا صوت الله لا يؤنّب الغنيّ على المال الذي عنده، بل على اعتقاده بأنّ حياته وسعادته ترتبطان بهذا المال، بينما إنجيل توما يعطينا انطباعًا بأنّ المشكلة في وجود المال بحدّ ذاته. الأمر نفسه نجده في المثل الثاني عن الدعوة إلى الوليمة حيث يهدف هذا المثل في الأناجيل الإزائيّة إلى تأكيد انفتاح ملكوت الله على الخطأة والوثنيّين المنبوذين من المجتمع اليهوديّ المتطهّر، بينما يُصبح هذا المثل في إنجيل توما مناسبة لإعلان عدم قبول الله بالمطلق للتجار والأغنياء في ملكوته.

(٢) H. J. W. DRIJVERS, ‘Facts and Problems in Early Syriac - Speaking Christianity, *The Second Century, 2* , (1982), 157–175.

(٣) النصوص العربيّة التي سنوردها من إنجيل توما، مأخوذة من ترجمة إسكندر شديد، **الأناجيل المنحولة**، غوسطا ١٩٩٩.

٢ – العقيدة الغنوصيّة في إنجيل توما

سنكتفي هنا بعرض هذا الموضوع ارتكازًا على الأقوال العشرة الأولى، على أن يكون لنا عودة إلى الأقوال الأخرى كافّة في مقالة جديدة.

– نبدأ بالمقدمة: "هذه هي الكلمات الخفيّة التي قالها يسوع الحيّ ونسخها ديديم يهوذا توما. وقال: من يتوصّل إلى تفسير هذه الكلمات لا يذوق الموت".

إنّ لقب يسوع الحيّ يعني يسوع الذي يحيا إلى الأبد، وهذا تعبير معروف في الأناجيل الغنوصيّة التي تدّعي بأنّ يسوع قد أعطى هذه الكلمات السرّيّة لتلاميذه المختارين خلال ظهوره لهم بعد قيامته من بين الأموات. ومع أنّ إنجيل توما لا يدّعي بأنّ التعاليم التي ينقلها باطنيّة، إلاّ أنّ المقصود هنا على الأرجح هو تفسير أقوال يسوع كما فهمته الجماعة المسؤولة عن كتابة إنجيل توما، والتي تعتبر هذه التفاسير سرّيّة. ويمكننا أن نسأل عن معنى كلمة "سرّيّة" (٤) (Apokryphos)، والجواب هو أنّ هذه الكلمة لم يكن لها المعنى السلبيّ الذي نعطيه لها اليوم، بل كانت تعني طبيعة التعاليم الخاصّة بمجموعة محدّدة من المؤمنين كتلاميذ يسوع وتوما بشكل خاصّ (٥).

– القول الأوّل: "قال يسوع: "على من يبحث أن لا يتوقّف عن البحث إلى أن يجد. حين يجد، سوف يضطرب، وعندما يضطرب سوف يعجب، ويملك العالم".

هذا القول غنوصيّ الأبعاد؛ فالبحث الغنوصيّ يقود إلى الاضطراب المتأتّي من رغبة المعرفة، وهذا أيضًا يقود إلى الإعجاب بما يُكتشف؛ وعندما تصبح المعرفة كاملة يصل الإنسان إلى الملك الحقيقيّ؛ فالمعرفة الداخليّة هي، بحسب الغنوصيّة، العالم الحقيقيّ الذي يتعارض مع عالم الظواهر.

وتجدر الملاحظة بأنّ النصّ اليونانيّ لهذا القول الأوّل يتضمّن جملة أخيرة تقول: "إنّ الذي يملك يصل إلى الراحة". والراحة بمفهوم الغنوصيّ هي الخلاص الحقيقيّ؛ ونجد هذه الكلمة أيضًا في الأقوال ٥١، ٥٢، ٦٠، ٦١، ٨٦، ٩٠. وإذا قابلنا مفهوم معنى الراحة هنا مع ما ورد مثلاً في الرسالة الثانية إلى طيموتاوس ٢: ١١–١٢، "صادقة هي الكلمة: إن متنا معه نحيا معه، وإن صبرنا نملك معه، وإن أنكرناه ينكرنا"، نجدُ أنّ العمل المسيحيّ هو الذي يقود إلى الراحة بحسب الرسالة إلى طيموتاوس، بينما يشدّد توما على المعرفة كسبيل إلى هذه الراحة (٦).

– القول الثاني: "قال يسوع :"إذا قال لكم الذين يستميلونكم: "هوذا الملكوت في السماء"، إذاك، تكون طيور السماء فيه قبلكم. إذا قالوا لكم:" إنّه في البحر"، إذاك، تكون الأسماك فيه قبلكم. لكنّ الملكوت في داخلكم، وهو في خارجكم".

تكفي النسخة اليونانيّة من إنجيل توما للقول إنّ الملكوت هو "في داخلكم"، بينما تزيد النسخة القبطيّة التي نحن في صددها القول: "وهو في خارجكم"؛ ولعلّ ذلك متأثّر بكون جماعة النعاسيّين (٧) تتكلّم عن ملكوت الله بكونه مخبّأً وظاهرًا في الوقت عينه، وهذا ما يرد أيضًا في القول ١١١ الذي يؤكّد أنّ الملكوت منتشر فوق الأرض، غير أنّ الناس لا يرونه (٨).

(٤) F. F. BRUCE, *Jesus and Christian Origins Outside the New Testament*, MI, 1974, p. 112.

(٥) J. A. FITZMYER, *Essays on the Semitic Background of the New Testament*: A Combined Edition of Essays on the Semitic Background of the New Testament and A Wandering Aramean: Collected Aramic Essays, Michigan, 1997, p. 368.

(٦) Rrobert M. GRANT and David Noel FREEDMAN., *The Secret Sayings of Jesus*, NY, 1960, p. 120 .

(٧) إحدى الجماعات الغنوصيّة القديمة.

(٨) المرجع نفسه، ص ١٢١.

القول الثالث: "عندما تعرفون أنفسكم، إذاك يعرفونكم، وتعلمون أنّكم أنتم أبناء الآب الحي. إنّما إذا لم تعرفوا أنفسكم، إذّاك تكونون في عُري، وأنتم [من تكونون] العُري".

إنّ التعبير المستعمل هنا، "عندما تعرفون أنفسكم"، مشهور بأنّه قول لسقراط، ولكنّ إنجيل توما يزيد عليه بقوله: "إذّاك تعرفون أنّكم أبناء الآب الحيّ"، وهذا مفهوم غنوصيّ مركزيّ، يعتبر أنّ الكيان الشخصيّ هو كيان قد أُنزل من عند الله، ولذلك فالبنوّة الحقيقيّة للآب الحيّ تقوم على معرفة خاصّة تقود الإنسان إلى الارتفاع بفكره نحو الأمور السماويّة الخاصّة بالأب، والتي يكون الإنسان خارجًا عنها فقيرًا، بمعنى الفقر إلى المعرفة (٩).

القول الرابع: " قال يسوع: "على الشيخ المُثقل بالأيّام ألاّ يتأخر في سؤال الوليد ابن الأيّام السبعة عن مكان الحياة، فيحيا؛ فسوف يبدو أنّ كثيرين أوّلين سيكونون أخيرين، وسيغدون واحدًا [أحدًا]".

يتضمّن هذا القول موضوعًا غنوصيًّا أيضًا عن الولد الذي يصبح كاشفًا للمخفيّات (رج أيضًا القول ٢٧)؛ وبالفعل، فإنّ يسوع نفسه يظهر غالبًا في النصوص الغنوصيّة كطفل صغير يعرف معرفة سماويّة (١٠). من جهة ثانية، فإنّ معرفة مكان الحياة التي يعطيها الطفل للرجل المسنّ، تؤكّد بأنّ المعرفة بحسب إنجيل توما ليست حكمة بشريّة عاديّة، بل شيء يُنال من كشف إلهيّ. وربّما نحن أمام تفسير غنوصيّ لكلام يسوع في إنجيل القدّيس مرقس (١٠: ١٤-١٥): "دعوا الأطفال يأتون إليّ ولا تمنعوهم، فإنّ لمثل هؤلاء ملكوت الله"(١١). أخيرًا فإنّ قوله، "كثيرون أوّلون سيكونون أخيرين، وسيغدون واحدًا"، فيه بُعْدٌ غنوصيّ واضح عن أصل الإنسان قبل أن يُصبح رجلاً وامرأة. وفي هذا الإطار يعتقد الغنوصيّون بأنّ آدم وحوّاء قد خُلقَا من إله أقلّ شأنًا من الله، وهو الذي أساء بتمييزه الإنسانَ الأوّل إلى جنسين، ذكر وأنثى. وهذه أفكار غريبة عن تعليم يسوع في الأناجيل القانونيّة (١٢).

القول الخامس: "قال يسوع: "إعرف ما هو قبالة وجهك، وما هو خفيّ عليك ينكشف لك؛ فما من شيء خفيّ إلا وينكشف".

هذا القول يشبه ما ورد في الأناجيل الإزائيّة، مع أنّ علماء إنجيل توما يتناقشون حول كيفيّة ترجمة الجزء الأخير من هذا القول، وبعضهم يعتبرون أنّه يجب ترجمته كما يلي: "وما من شيء مدفون إلاّ وسيقام". ولكنّنا لا ندخل في هذا النقاش هنا.

القول السادس: "سأله تلاميذه؛ قالوا له: "تريدنا أن نصوم؟ أيّ طريقة نصلّي بها، نتصدّق بها، وأيّ وسيلة تغذية نتقيّد بها؟" قال يسوع: "لا تقولوا كذبًا، وما تكرهونه، لا تفعلوه، فكلّ تلك الأمور ظاهرة في وجه السماء؛ ما من شيء خفيّ إلا وينكشف، وما من شيء مستور إلاّ ويُعلن!"

هذا القول أيضًا ليس فيه من وجهة نظرنا شيء مميّز، وهو قريب إلى حدّ ما من أقوال مماثلة وردت في الأناجيل القانونيّة.

القول السابع: قال يسوع: "طوبى لذلك الأسد الذي يأكله الإنسان بحيث يصبح الأسد إنسانًا. إنّما ملعون الإنسان الذي يأكله الأسد بحيث يصبح الأسد إنسانًا".

هذا القول غريب إلى حدّ ما، ولكنّه يحتوي على الحكمة التالية: "إذا أكل الإنسان الأسد فإنّ هذا الأخير

(٩) FUNK and HOOVER, *The Five Gospels*, NY, 1993, p. 472 – 473.

(١٠) Gerd LUNDEMANN, *Jesus after 2000 Years*, NY, 2001, p. 592.

(١١) Rrobert M. GRANT and David Noel FREEDMAN., *op. cit.*, p. 122-123.

(١٢) FUNK and HOOVER, *op.cit.*, p. 473.

يرتفع في درجة الكينونة، بينما الإنسان إذا أُكل من الأسد فإنّه ينحط إلى قدر أقلّ من درجة كينونته الأصليّة، وقد يفقد بالتالي الخلود الذي يميّز الكينونة الإنسانيّة. ولا نعرف إن كان للأسد هنا رمزيّة ما مقصودة؛ فالأسد كان يمثّل رمز الملوكيّة. وفي سفر حزقيّال وسفر الرؤيا هو أحد وجوه الكائنات الأربعة. وبحسب بعض المفسّرين فإنّ الأسد كان يمثّل رمزًا للشهوات الإنسانيّة. والقول بأنّ الإنسان يأكل الأسد ويؤكل منه هو تلميح ربما إلى أهواء الإنسان الشخصيّة.

في الخلاصة، المقصود على الأرجح هو تلك الإمكانيّة الموضوعة أمام الإنسان في أن يعتلي في معرفته إلى درجة أعلى أو أنّ ينحدر إلى درجة منحطّة. هنا أيضًا خلفيّة غنوصيّة وإن غير أكيدة (١٣).

القول الثامن: ثمّ قال يسوع: "الإنسان يشبه صيّادًا حكيمًا ألقى شبكته في البحر، ورفعها من البحر ملأى أسماكًا صغيرة. وجد هذا الصيّاد الحكيم في وسطها سمكة كبيرة وممتازة، فطرح الأسماك الصغيرة كلّها في البحر؛ ومن دون تردّد اختار السمكة الكبيرة. من له اذنان للسماع فليسمع".

يستعير إنجيل توما هذا القول من مت ١٣: ٤٧–٤٨، ولكنّه يعدّل فيه بخلفيّة غنوصيّة؛ فبينما يقول متّى بأنّ ملكوت الله يشبه شبكة حملت كلّ أصناف الأسماك الحسنة والسيّئة معًا (وهذا مناف كلّيًّا للمنطق الغنوصيّ)، يخبرنا هذا القول من إنجيل توما عن صيّاد حكيم يستطيع أن يختار الأفضل ممّا يصطاده، وكأنّي به يقول بأنّ يسوع قد جاء ليختار الأفضل (أي الغنوصيّين). وقد نستطيع أيضًا أن نعكس الرمزيّة هنا فيكون الصيّاد الحكيم هو الرجل الغنوصيّ الذي يعرف أن يختار المسيح (١٤). وبهذا يقرُب موضوع الإنسان الغنوصيّ المختار والذي يستطيع أن يختار المعرفة العليا دون الدونيّة (١٥).

القول التاسع: قال يسوع: "هوذا؛ الزارع خرج، وملأ يده ورمى. [من الحبوب،] البعض سقط على الطريق، فأتت الطيور ولقطته. وسقطت أخرى على الصخر، فلم تجد سبيلاً إلى التجذّر في الأرض ولم تثمر سنابل شامخة. وسقط البعض وسط الشوك فخنقه، وجاء الدود والتهمه. وسقطت أخرى على الأرض الجيّدة، وذلك [الجزء] أنمى ثمرًا ممتازًا، فأعطى المكيال ستّين و [حتّى] مئة وعشرين!

هذه نسخة مختلفة من مثل الزارع المذكور في الأناجيل الإزائيّة (مر ٤: ٣–٨؛ مت ١٣: ٣–٨؛ لو ٨: ٥ –٨)، مع اختلاف في ما حصل للحبّات التي وقعت بين الشوك واختنقت، إذ يزيد هنا بقوله إنّ الديدان جاءت وأكلتها. البُعْد الغنوصيّ في هذا المثل قد نجده في قوله إنّ الحبّات التي وقعت على الصخر لم تثمر سنابل شامخة. هنا يجد بعض المفسّرين فكرًا غنوصيًّا نعاسيًّا (١٦) يعتبر أنّ الزرع الجيّد يجب أن يشمخ إلى السماء، بينما الزرع المخنوق من الجهل تأكله ديدان جهنّم (رج مر ٩: ٤٢) (١٧).

القول العاشر: قال يسوع: "رميتُ النار على العالم، وها إنّني أسهر عليه إلى أن يضطرم".

هذا القول موازٍ لما ورد في لو ١٢: ٤٩، ولكنّه يغيّر مفهومه الأساسيّ؛ فبينما يقول المسيح في لوقا: "جئت ألقي على الأرض نارًا، وكم أودّ لو تكون قد اشتعلت"، يرد في إنجيل توما أنّ المسيح يسهر على النار لكي تضطرم؛ فالنار في لوقا لها بعد إسكاتولوجيّ، بينما لها بعد حاضر في إنجيل

(١٣) FUNK and HOOVER, *op.cit.*, p. 477. Bruce F.F., *op.cit.*, p. 115.
(١٤) Robert M. GRANT and David Noel FREEDMAN, *op.cit.*, p. 126-127.
(١٥) Wilson R.McL., *Studies in the Gospel of Thomas*, London, 1960, p. 40-41.
(١٦) F.F BRUCE, *op.cit.*, p. 116.
(١٧) Robert M. GRANT and David Noel FREEDMAN, *op.cit.*, p. 127.

توما. ويورد أحد إختصاصيّ الأدب الغنوصيّ قولاً مماثلاً ليسوع في وثيقة غنوصيّة أخرى عنوانها *Pistis Sophia* في العدد ١٤١: "لهذا السبب قلت لكم: جئت إلى الأرض لأشعل نارًا عليها"، بمعنى أنّه جاء يطهّر العالم بالنار من الخطايا (رج أيضًا القول ١٧ من إنجيل توما) (١٨).

خلاصة

لا شكّ بإنّ إنجيل توما يتمتّع بمكانة خاصّة في الأدب المنحول لقربه من الأناجيل القانونيّة، ولاحتوائه أقوالاً ليسوع يتناقش العلماء كثيرًا في أصلها ومصدرها، وفي إمكانيّة احتوائها لما يعرف بكلمات يسوع الأصليّة. يتميّز بدون شكّ بالبساطة المطلقة في ايراد ما يدّعي بأنّها أقوال يسوع لتلميذه المفضّل توما، ويشكّل بالتالي مرجعًا مهمًّا لدارسيّ العهد الجديد. ولكن، كما لاحظنا، فإنّ الطابع الغنوصيّ الواضح في أكثر أقواله ظاهرٌ إن في المضمون وإن في الشكل.

وقد بيّنّا من حيث المضمون بعضًا من عقائده الغنوصيّة التي لوّنت أقوال يسوع كما وردت في الأناجيل القانونيّة أو زادت عليها أقوالاً جديدة لتأكيد العقيدة نفسها. أمّا من حيث الشكل، فقد أظهرنا خلو هذه الأقوال من أيّ بعد تجسّديّ، إذ إنّها فصلت عن حياة يسوع وأعماله والمحيط الواقعيّ الذي عاش وعلّم فيه، ممّا يجعلها مجرّد تعليم لمعرفة عالية تغذّي العقل وتلقي عقائد غنوصيّة تهدف إلى دفع الإنسان للبحث عن معرفة ما لا علاقة لها بالتاريخ الخلاصيّ. وهنا الفرق الكبير بين هذا الإنجيل المنحول والأناجيل القانونيّة التي هي شهادات إيمانيّة لحقائق تاريخيّة معاشة، ولاختبارات خلاصيّة مرتبطة بشخص يسوع الإنسان، الذي لم يتجسّد ليلقّن الإنسان تعاليم إلهيّة سامية، بل ليجعل الله حاضرًا في تاريخ الإنسان، ويقوده إلى محبّة الله التي ظهرت في شخصه أكثر ممّا ظهرت في أقواله السامية. وهذا ما يميّز الإيمان المسيحيّ عن أكثر الأديان والإيديولوجيّات التي ارتكزت غالبًا على تعاليم تدّعي بأنّها نالتها من السماء بوحي أعطي لإنسان ما، أو بجهد العقل والبحث عن تلك المعرفة السامية نفسها؛ فالمسيحيّة، بهذا المعنى، ليست دينًا ولا فلسفة، بل خبرًا سارًّا اختبر وأعلن من قبل أناس عاديّين لا يتميّزون بشي عن الآخرين سوى أنّهم اختبروا قوّة حدث موت وقيامة المسيح في حياتهم وفي حياة من أوصلوا إليهم هذه البشارة، وهذا بالتأكيد غير موجود في إنجيل توما المنحول.

(١٨) Marvin MEYER, *The Gospel of Thomas: The Hidden Sayings of Jesus*, NY, 1992, p. 73.